المكانة العلمية لمجاوري مكة إبان العصر السلجوقي
(٤٢٩-٥٩٠هـ/١٠٣٧-١١٩٣م)

د. محمد طه بن صلاح بن صالح بكري (*)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.... وبعد

فقد تمتعت مكة المكرمة بمكانة سامية بين جماهير المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي الذين توافدوا عليها طلبا لجوار بيت الله الحرام، تبركا بها، واستجابة لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام: في سورة إبراهيم "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ .

ومصداقا لقول الرسول الكريم ﷺ:" والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أهلك أخرجوني منك ما خرجت"[١] .

وعلى أرض مكة الطاهرة، وبجوار بيت الله الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا، فضل كثير من الناس لاسيما العلماء والأدباء منهم، وأهل الفكر والرأى- بعد أداء فريضة الحج - الإقامة بها، مفضلها على بلده الأم .

والمجاورة في اللغة هي الاعتكاف في المسجد، أما المجاورة بجوار الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، فيراد بها الإقامة بهما، بغير الالتزام بشرائط الاعتكاف الشرعي[٢].

وكانت المجاورة، على مر عصور التاريخ الإسلامي، هدفاً يسعى إليه كثير من أئمة العلماء والمفكرين، حتى إن الإمام الشافعي جعلها قربة يتقرب بها إلى الله. والإمام "أحمد بن حنبل" (رحمه الله) روي عنه أنه قال : " ليت لى الآن مجاورة بمكة " .

وتعتبر المجاورة، في رحاب بيت الله الحرام، ظاهرة دينية واجتماعية، أملتها رغبة بعض المسلمين، من جميع طبقات المجتمع الإسلامي، في قضاء فترة صفاء روحي وذهني بجوار مكة المكرمة[٣].

(*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ جامعة أم القرى

والحق أن هجرة العلماء والأدباء إلى مكة، ومجاورتهم لبيت الله الحرام، اختلفت دوافعها وأسبابها المحركة لها خلال فترة البحث.

الرحلة العلمية وأثرها في دفع حركة المجاورين:

كانت الرحلة معلما قويا حرص عليه طلاب العلم في العصر السلجوقي، ودأبوا عليه، لاسيما الراغبين في مجاورة بيت الله الحرام، إذ كانت المجاورة الرافد الذى يغذيهم بمختلف المعارف والعلوم آنذاك .

والواقع أن الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة المدينة المنورة، مما زاد المسلمين إقداماً على الأسفار، ولهذا ارتحل العلماء إلى البلاد القاصية لطلب العلم ولقاء الشيوخ، إذ كان البعض منهم ينتهزو موسم الحج فيعرج على الشيوخ أثناء سفره، للسماع منهم، وكانوا ينفقون جهداً كبيراً وأموالاً طائلة خلال تلك الرحلات .

وكان الخلفاء العباسيون وسلاطين السلاجقة[٤] ، يعنون عناية فائقة بتنظيم طرق الحج وتعبيدها وتوفير آبارها، كما فعل السلطان السلجوقي"ملكشاه بن ألب أرسلان"، عندما أمر بحفر الآبار في طريق مكة، كما بنى منارة القرون في طريق مكة، كي يهتدي بها الحجيج المتجهون إلى بيت الله الحرام[٥] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويؤكد ابن الجوزي[٦] (وهو من مؤرخى القرن السادس الهجرى) على بقائها واستمرار تأدية مهمتها حتى عصره، بقوله : "وهي باقية إلى الآن، وتسمى منارة القرون"[٧].

وتعتبر الرحلة من أهم وسائل المسلمين في طلب العلم، إذ كان العلماء يحثون الطلبة عليها، فكان الطالب يترك بلدته بعد أن يحصل ما لدى علمائها، فيتوجه إلى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، ويكابد مشاق السفر وأخطاره التي يعجز عن وصفها آنذاك، ولم يقف بعد المشقة، وتلك الأخطار حائلاً دون تلك الرحلات، التي ملأت أخبارها بطون الكتب، لاسيما بعد أن وفرت لهم السلطات السلجوقية الأمن على الطرق المؤدية لمكة المكرمة .

وبفضل هذه الرحلات استمر تبادل الأفكار بين سكان مختلف الأقاليم الإسلامية، مما أبقى على الوحدة الثقافية للعالم الإسلامى، وزاد من تماسكها بعد انقسامها سياسيا، حين ضعفت الدولة العباسية في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين، ولكن هذا الانفصال لم يكن إلا انفصالا سياسيا وحسب، ذلك لأن الدول التي انسلخت عن الجسم العباسي، كانت كلها ذات طابع واحد، هو الطابع العربي الإسلامي، وكانت الحياة العلمية والمذاهب التربوية وحدة متسقة تمام الاتساق، وكان العالم الإسلامي في أية بقعة من بقاع العالم، يجوب الديار، فيحاضر ويناقش

ويناظر، وهو بين قوم يفهمونه ويفهمهم، لا فرق بين العراقي والفارسي، والمصري والمغربي، والأندلسي والحجازي، فالكل يدرس في فلك واحد، ويسيرون إلى هدف واحد، ويدرسون برنامجا تعليميا واحدا، وربما اختلفت الصور والأشكال والهيئات والأساليب، أما حقائق الأمور وطبائع الأشياء فثابتة متحدة، حيث استمر هذا النشاط العلمي في دار الإسلام، من أقصى المشرق الإسلامي إلى أقصى المغرب الإسلامي .

وهكذا كان للعلماء المسلمين أثر كبير في ربط أجزاء العالم الإسلامي المترامية الأطراف من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، إذ كانوا يعتبرون كل بلد يحلون به في هذه الأقطار الشاسعة بلدهم، وأهله أهلهم، يقيمون بينهم ويرتحلون ولا يشعرون بالاغتراب، وكان همهم الأكبر منصبا حول تحصيل المعرفة والاغتراف منها، يأخذون أصولها على علمائها، ثم يعودون بعد أن يتزودوا بكل نفيس، فيفيدون بما تعلموا أبناء البلاد التي يحلون بها، كما أن العلماء المسافرين كانوا يعقدون مجالس الدرس للطلبة من أهل المدن التي يمرون بها، كذلك يحضرون مجالس المناظرة التي تعقد مع علمائها.

ومن أجل هذا؛ سن العلماء الارتحال إلى البلاد القاصية في طلب العلم ولقاء الشيوخ، فلم يكن ينبغ عالم أو فقيه أو أديب، ويركن إلى علمه حتى يطوف في الأقطار، يلقي كبار العلماء وأجلاء الشيوخ، ويحصل العلم من شيوخ كثيرين في بلاد مختلفة.

وقد عقد "ابن خلدون"، في مقدمته الشهيرة، فصلا عن الرحلة في طلب العلم، يشير فيه إلى أن الرحلة في طلب العلوم، ولقاء المشيخة، لابد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال، فيحصل الطالب على ملكة علمية أقوى مما لو درس على شيخ واحد، ويعلل ذلك بأن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ، يكون حصول الملكات ورسوخها، فالرحلة لابد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال [٨].

وكان العلماء في العراق والمشرق الإسلامي في رحلات دائمة، وأسفار غير منقطعة، فهم ينتقلون من بلد إلى بلد آخر دون أن تكون ثمة حواجز أو موانع تعوق تنقلهم بين مدن خراسان، وما وراء النهر، والعراق، والشام، ومصر، وديار المغرب والأندلس، ومنهم من يجاور بمكة، وكان هؤلاء العلماء يلقون الحفاوة والتقدير من أعيان وأبناء البلد الذي يحطون فيه .

التخاصم والتنازع المذهبي وانعكاساته الاجتماعية :

كان في الحجاز لهذا العصر إمارتان، إمارة مكة وإمارة المدينة[٩] وكانت إمارة مكة للحسنيين[١٠] من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب، في حين كانت إمارة المدينة للحسينيين[١١]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانت الإمارتان تدينان بالولاء للخلافة الفاطمية في مصر [١٢].

وقد شجع البويهيون مبعوثي الفاطميين، غير أن هدفهم من ذلك لم يكن تمكين الخليفة الفاطمي من تولي الخلافة على المسلمين أجمعين ؛ لأنهم كانوا يريدون خليفة مسلوب القوى، لتتحقق لهم السيطرة عليه، ولذلك لم يعملوا على خلع الخليفة العباسي، غير أنهم وإن كانوا قد أبقوا على الخليفة السني، إلا أنهم عملوا على التنكيل به وبأتباعه[١٣].

ومن العجيب، في العصر البويهي، أن يكون السلطان الشيعي حاميا للخليفة السنى، وإن كان هذا السلطان لا يعتقد في صحة خلافة العباسيين، حمله علي ذلك رغبته في المحافظة على مكتسباته السياسية، وذلك بناء على نصيحة أحد مستشاريه بالإبقاء على الخليفة السنى الضعيف آنذاك، وعدم الاعتراف بسلطان الخليفة الفاطمي الشيعي لأن ذلك خطر عليه . ويحدثنا ابن الأثير عن الحوار الذي دار بينهما بقوله : إنك أنت اليوم مع خليفة عباسي تعتقد أنت وأهلك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرت بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتي أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأهلك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه "، فأعرض عن ذلك (١٤) .

وكان من جراء هذه السياسة أن تأزمت الأمور بين الفريقين أكثر من مرة، حتى إن عصر البويهيين كان يعرف بأنه عصر اضطهاد لأهل السنة، واضطر كثيرون منهم إلى الرحيل عن ديارهم، احتجاجا على ما كان يقع فيها من أمور تشين كرامتهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهور السلاجقة :

بقيت البلاد التي كان يسيطر عليها البويهيون على هذه الحال زهاء قرن من الزمان، إلى أن ظهر السلاجقة لأول مرة في خراسان حوالي سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٤م)[١٥]، واستتب لهم الأمر حوالي سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) وكانوا يتبعون المذهب السني، واتجهت أنظار التابعين للمذهب إليهم، مما مهد لهم السبيل للسيطرة على الولايات المجاورة لخراسان رويدا رويدا.

غير أن ظهور السلاجقة في المشرق الإسلامي، وزيادة نفوذهم فيه، لم يقض على الفتن المذهبية التي كانت قائمة في ذلك الوقت، والتي كانت تسفر، في كثير من الأحيان، عن حوادث دامية يذهب ضحيتها كثير من الأهلين[١٦].

وكانت صلة الدولة السلجوقية بمكة والمدينة وثيقة منذ قيامها، لأنهما المنبع الأصلي للإسلام، حيث كان لإمارة مكة المكانة الأولى في العالم الإسلامي، إذ كان المسلمون - ولا يزالون - يؤمونها سنوياً من بقاع الأرض قاصيها ودانيها لأداء فريضة الحج، وكان من يدعو لنفسه من الخلفاء على منابرها - سواء من الخلفاء العباسيين، أو الفاطميين - يعد نفسه خليفة للمسلمين قاطبة .

والواقع أنه لم يوجد عالم من علماء المسلمين ـ في الغالب ـ إلا وشد الرحال إلى مكة لأداء فريضة الحج، ووجد من العلماء من استهواه بريقها، فظل يدرس بها ويفتي، ومنهم من كان ينتهز فرصة وجوده هناك ليأخذ من الشيوخ ويسمع عنهم، ويقطف من جناهم أطيب الثمار وأشهى الأكل من مختلف العلوم والفنون.

ومن الأمور التي تلفت النظر، في العصر السلجوقي، أن هناك عددًا غير قليل من كبار المثقفين، كالفقهاء والأدباء وعلماء النحو واللغة، قد تركوا ديارهم ونزحوا إلى مكة، ومن غير الممكن أن يكون هؤلاء قد تركوا بلادهم ولديهم أسباب الحياة الكريمة، فلا يعقل أن رجالاً بهذه الدرجة من الثقافة والعلم يهجروا أوطانهم دون أسباب وجيهة، مع العلم أنهم لم يهاجروا في طلب العلم، لاسيما وأن كلا من العراق والمشرق الإسلامي، في العصر السلجوقي، كانا منارة للعلم والمعرفة، يحج إليهما طلاب الثقافة من كل فج عميق. إذن لماذا تركت هذه الصفوة المختارة بلادها واتجهت إلى الأراضي المقدسة؟.

والواقع أن العصر البويهي عرف بأنه عصر اضطهاد لأهل السنة، مما اضطر كثيرًا من العلماء إلى الرحيل عن ديارهم احتجاجًا على ما كان يقع من أمور تشين كرامتهم، إلا أن ظهر السلاجقة في المشرق الإسلامي، واستتب الأمر لهم في العراق، وكانوا يتبعون المذهب السني، فاتجهت أنظار التابعين للمذهب إليهم .

غير أن ظهور السلاجقة في المشرق الإسلامي أولاً، ثم في العراق ثانيًا، لم يقض على الفتن المذهبية التي كانت قائمة بين أصحاب المذاهب الإسلامية في ذلك الوقت، والتي كانت تسفر في كثير من الأحيان، عن حوادث دامية يذهب ضحيتها الكثير.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يكن العراق وحده مرتعًا للحوادث العنيفة، بل امتدت نيران الفتنة إلى غيره من مدن المشرق. وكانت "نيسابور" مسرحًا لفتن كثيرة، منها ما حدث في عصر السلطان "طغرل بك"، عندما أمر بلعن الرافضة الشيعة على منابر خراسان أيام الجمع، فاستغل وزيره "عميد الملك الكندري" [١٧] هذه الفرصة وقرن اسم الأشاعرة ـ لما كان بينه وبين الشافعية من عداء ـ بأسماء أرباب البدع والأهواء[١٨] .

ولما كان معظم الأشعرية[١٩] شافعية، فقد غلف الكندري طعنه على الشافعية بغلاف الأشعرية، حتى لا يتهم بالتعصب لمذهبه [٢٠].

ولم يقف الأشاعرة مكتوفي الأيدي، فقاموا بأعمال عنف وشغب احتجاجًا على ما نالهم من المحنة، عندئذ أمر السلطان طغرل بك بالقبض على زعماء الأشاعرة، وعلى رأسهم الإمامين "أبي القاسم القشيري" و أبي المعالى الجويني"، ولكن إمام الحرمين أحس بالأمر فاختفى، بينما كان "أبو سهل بن الموفق" بعيدًا عن خراسان فلم يقبض عليه، وإنما قبض على القشيري

وآخرين، إلى أن عاد أبو سهل إلى نيسابور فجمع أعوانه وهاجموا السجن، وأخرجوا من فيه من الأشاعرة، بعد أن ظلوا في السجن أكثر من شهر [٢١].

ويذكر السبكي[٢٢]أن الوزير الكندري صار يقصد الأشاعرة بالإهانة والأذى والمنع من الوعظ والتدريس، وعزلهم عن الخطابة، وأغرى السلطان السلجوقي "طغرل بك" بمذهب الشافعي عموما، وبالأشعرية خصوصًا، حتى طار شرر هذه الفتنة في الآفاق، وطال ضررها وعظم خطبها .

كانت هذه المحنة سببًا في مغادرة كثير من أعلام المذهب الشافعي منطقة خراسان، فمنهم من ذهب إلى العراق، ومنهم من جاء إلى الحجا ز[٢٣]، فممن ذهب إلى الحجاز الإمام "البيهقي"[٢٤] و"القشيري" [٢٥] و "إمام الحرمين الجويني" [٢٦]، حتى قيل إن عدد من خرج من خراسان بسبب هذه الفتنة، أكثر من أربعمائة من فقهاء الشافعية [٢٧].

وتختلف المصادر بصدد الدافع الذى أدي إلى خروج الإمام الجويني من نيسابور : يذكر عبد الغافر الفارسي- ويوافقه على ذلك السبكي وابن العماد [٢٨]- أن عبد الملك اضطر إلى النزوح عن نيسابور مع بعض المشايخ من بينهم أبو القاسم القشيري وذلك بعد أن ظهر التعصب بين الفريقين، ويذكر ابن خلكان[٢٩] أنه سافر إلى بغداد، ولقي بها جماعة من العلماء، كما يذكر ابن الجوزي[٣٠] أن الإمام تنقل في كثير من البلاد، وتلقي العلم في بغداد على أبي محمد الجوهري وأخيرا قال ابن تغري بردي إنه سمع بالبلاد، وجاور بمكة، ثم عاد إلى نيسابور[٣١].

هكذا نجد أنه باستثناء عبد الغافر ومن نقل عنه- لا يشير المترجمون للإمام إلى أن قيام التعصب، بين فريق أهل السنة والشيعة، يعتبر سببا من أسباب خروج مشايخ الأشاعرة من نيسابور، وهم - إذ لا يذكرون التعصب المذهبي كدافع لنزوح مشايخ الأشاعرة عن هذه البلدة - يرون أنهم سافروا ليتلقوا العلم عن كبار العلماء وأجلة المشايخ، بمختلف البلدان على عادة القوم في ذلك الحين.

غير أننا نرجح ما ذكره عبد الغافر الفارسي تلميذ الإمام، فقد كان أعلم بظروف حياة أستاذه من غيره من المترجمين، ويكون نزوح الإمام عن نيسابور بسبب ما كان قائما من الفتن المذهبية، خصوصا وأن المؤرخين للحوادث العامة يثبتون ما يؤيد قول عبد الغافر الفارسي، على نحو ما تبين لنا ذلك من سرد حوادث العصر في ذلك الحين. وسواء كان خروجه بسبب هذه الفتن أو غيرها، فقد استغل فترة ابتعاده هو ورفاقه عن هذه البلدة أحسن استغلال، فقصدوا كبار العلماء وجلسوا معهم للمناظرة وتثبيت أمور العقائد.

على أية حال؛ تذكر المصادر أن الإمام الجويني نزح عن نيسابور واتجه إلى بغداد، وقد ذاع صيته أثناء وجوده ببغداد، واشتهر أمره، وبعد أن أقام فترة بها رحل بعدها إلى الحجاز، وأقام بمكة أربع سنوات يناظر ويفتي وينشر العلم، حتى صار مقصد الطلاب والمتعلمين من كل قطر، بعد

أن تألق نجمه وعقد له لواء الزعامة بين علماء مكة، وقد بلغ من فضله أن حرص المسلمون على تلقيبه بإمام الحرمين تكريما له، واعترافاً منهم بجهوده في نشر العلم [٣٢].

ويقول السبكي[٣٣] في ذلك "وجاور بمكة أربع سنين يدرس ويفتي ويجتهد في العبادة ونشر العلم، شرف به ذلك النادي، وأشرقت قلاع ذلك الوادي، وأسبلت عليه الكعبة ستورها، وأقبلت عليه وهو يطوف بها كلما أسود جنح الليالي، بيض ديجورها وصفت نيته مع الله، فلو كانت الصفا ذات لسان لشافهته جهاراً، وشكر له المسعى بين الصفا والمروة إقبالاً وإدباراً.

ولم يلبث أن عاد إمام الحرمين إلى نيسابور، وذلك بعد وفاة السلطان "طغرل بك"، وتولي من بعده ابن أخيه "ألب أرسلان" سدة الحكم، الذى اتخذ لنفسه وزيراً شافعيًا هو "أبو الحسن بن علي" الملقب بنظام الملك، فأمر بعودة علماء الشافعية الذين هاجروا من قبل، وأكرمهم وأحسن إليهم وأسقط ذكرهم من السب، والاقتصار على لعن الرافضة [٣٤].

ومن العلماء الذين حطوا الرحال في مكة، العالم الجليل "طراد بن محمد الزينبي" مسند العراق، ونقيب النقباء الهاشمي العباسي البغدادي، الذى كان حنفيا من جلة الناس وكبرائهم، ثقة ثبتًا، ساد الدهر رتبة وعلوًا وفضلاً، ومتع بسمعة طيبة حتى إنه ذهب إلى أصفهان وحدث بها، وأصبح له في مكة مكانة علمية بارزة نظرا لنبوغه وتفوقه، وكان له مجلس علم في رحاب الحرم، وكان يحضر مجلس إملائه جميع أهل العلم [٣٥] ثم ذهب إلى مكة والمدينة وأملى بهما [٣٦] حتى قال عنه الذهبي[٣٧]: "ألحق الصغار بالكبار".

فضلا عن "أحمد بن سلمان النيسابوري" الذى سافر الكثير ولقي المشايخ ووقف نيفا وثلاثين موقفا بمكة، وكانت له علاقة طيبة مع شيخ الحرم بمكة المكرمة [٣٨].

ويذكر عبد الغافر الفارسي [٣٩] أن "أحمد بن على بن محمد النيسابوري" تبوأ مكانة سامية في مكة حتى إنه أصبح قاضي الحرمين، وكان يكرم كل من دخل مكة من المعارف والبلديين (أهل بلده) والأصدقاء . إلى جانب "القاسم بن الفضل بن أحمد" رئيس أصفهان وابن رئيسها، يقول عنه عبد الغافر الفارسي[٤٠]: " صدر التجار في وقته، أيسر أهل عصره ثروة ونعمة وتجارة وبضاعة، سمع ببلده وبمكة من "ابن نظيف"، وعقد له مجلس الإملاء بأصفهان فأملى سنين" .

ولهذا لا تعجب إذا رأينا الحافظ الكبير والمحدث الشهير أبا طاهر السلفي الأصفهاني المعروف بـ"الحافظ السلفي" يترك موطن رأسه في أصفهان، ويتجه إلى مكة المكرمة، ويتخذها دار إقامة [٤١].

والحقيقة أن التعطش لطلب العلم هو الدافع الأكبر للسلفي ليطوف في البلاد ويرحل إلى أماكن عدة، يلتقي فيها بالشيوخ فينهل من علمهم في كل مكان يحل فيه، فذهب إلى بغداد حاضرة البلاد وكعبة القصاد، وفي أرجائها ازدهر العلم واستوى على سوقه، فأقبل السلفي على علماء بغداد ينهل من علمهم، فدرس عدة علوم لا يمكن أن يستغني عنها دارس الحديث، فدرس الفقه

الشافعي على كبار فقهاء بغداد، ودرس اللغة والحديث على فطاحل الأئمة الأفاضل [٤٢] ثم غادرها إلى الحجاز ليؤدي فريضة الحج وسمع بها من علماء الحديث، ولم يترك عالماً بارزًا من علماء العراق والحجاز إلا اتصل به وأخذ عنه [٤٣]، ثم اتجه إلى الشام وقدم دمشق فأقام بها فترة، ثم وصل إلى الإسكندرية بعد أن حصل من العلوم الكثير، فاشتغل بالتدريس، وتدريس الحديث بوجه خاص، وقصده طلاب الحديث من جميع أنحاء مصر وخارج مصر [٤٤].

ولم يمكث السلفي في مكة إلا قليلاً حتى عرف واشتهر، وجذب الطلاب والعلماء إلى حلقات درسه، وتكاثر طلابه وأقبلوا على دروسه وأحبوه، حتى أصبح مقصد الطلاب والمتعلمين من كل قطر، وأصبح مرحولا إليه بعد أن كان راحلاً، فلم يكن في أفق من الآفاق في عصره من هو أسند ولا أحفظ منه [٤٥].

وممن رحل إلى الحجاز قادما من المشرق لنشر العلم "أبو نصر البندنيجي" المعروف بفقيه الحرم؛ لأنه جاور بمكة أربعين سنة ينشر العلم، وكان من كبار أصحاب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي[٤٦]، من كبار المحدثين والفقهاء، ولا شك أنه قد بث بمكة قدرًا كبيرًا من علمه الغزير الذي حصله في المشرق، حتى قيل إن الشيخ "أبا إسحاق الشيرازي" كان يتبرك به، ويحضر مجالس علمه[٤٧].

الواقع أن عددا من العلماء المجاورين، العراقيين والمشرقيين، قد فرضوا تميزهم العلمي وثقافتهم الواسعة باعتلاء رئاسة بعض العلوم في مكة حتى إن بعضهم أصبح مفتى مكة ومحدثها الأول بلا منازع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وممن كان له جهد تأليفي وتعليمي بالحجاز الإمام "أبو عبد الله الحسين بن علي الطبري" الشافعي مفتي مكة ومحدثها، كان من كبار الشافعية، تفقه عليه جماعة كبيرة من أهل مكة حتى كان يدعي بإمام الحرمين ؛ لأنه جاور بمكة نحوًا من ثلاثين سنة يدرس ويفتي ويسمع[٤٨] وكان قد سافر إلى بغداد، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، حتى تولي التدريس بنظامية بغداد ثم غادرها إلى مكة، بعد أن حصل من العلوم الشيء الكثير، وظل مقيمًا بها حتى وفاته [٤٩].

والملاحظ أن العلوم الشرعية بفروعها المختلفة من "فقه" و"تفسير" و"حديث" وما يرتبط بها من علوم ومعارف إسلامية أخري، مثل : "علوم اللغة العربية وآدابها" و"السيرة النبوية والتاريخ" كانت تلك العلوم هي محور التدريس، ومن أجلها تشد الرحال إلى جوار مكة المكرمة [٥٠].

لعل هذا يفسر لنا كثيرًا من مظاهر الحياة الثقافية في العصر السلجوقي، وكيف اتجهت هذه الحياة في معظمها إلى العناية بالعلوم الدينية بجميع فروعها، وفي مقدمتها علم الحديث، حتى قال بعضهم: "من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام"[٥١].

الجدير بالملاحظة أن الإقامة بمكة، أو ما اصطلح عليه بالمجاورة، لم يكن يلزم صاحبه بقضاء فترة محددة فيها، سوي الإقامة بجوار الحرم مدة قد تطول وتقصر ولقاء العلماء والمشايخ، أو نشر العلم والفكر.

كما كان "علي بن يوسف بن محمد الجويني" النيسابوري، من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان، جاور بمكة مدة ، حتى صار يطلق عليه "شيخ الحجاز"، وهو أخو ركن الإسلام أبي محمد الجويني، ثم عاد إلى بلده، وكان يعقد له مجلس الإملاء في مسجد "المطرز" بنيسابور[٥٢].

وأحمد بن محمد بن عبد الله الهروي الحافظ، من أهل الحديث، ومن المجاورين بمكة، وكان من كبار مشايخ الحرمين . كان ورعا زاهدا عالما، لا يدخر شيئا للغد، حتى أصبح يشار إليه بالتصوف [٥٣] .

وكان من أبرز هؤلاء "الزمخشري" الذي كان يكنى بأبي القاسم ويلقب "بجار الله" وشهر بالزمخشري نسبة إلى بلدة "زمخشر"، فقد كان محبًا للعلم والمعرفة، نشأ في عصر ازدهرت فيه الحياة العلمية، وانتشرت في كل ركن من أركان البلاد، حتى كان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة [٥٤].

درس الزمخشري صبياً في خوارزم، ثم رحل إلى بخارى لطلب العلم ؛ لأنها كانت على حد قول الثعالبي[٥٥] "مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء العصر" وهناك لقي الزمخشري العلماء والأفاضل وأفاد منهم الكثير، وساعده على ذلك حفظه الكثير للأدب واللغة، حتى صار يضرب به المثل في هذين العلمين[٥٦].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد أن ارتوى الزمخشري من العلم والأدب ومن فنون المعرفة الأخرى، قرر الرحيل إلى خراسان، وورد العراق، ثم عاد إلى خوارزم، قال عنه القفطي [٥٧]، "كان علامة الأدب ونسابة العرب، أقام بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبل، وتحط بفنائه رحال الرجال".

بيد أن كثرة النابهين المشهورين في شتى صنوف المعرفة، في العصر السلجوقي، صار من المتعذر على أي عالم، مهما علت منزلته العلمية، أن يلفت الأنظار إليه وسط هذا الحشد الهائل، فشعر قسم من هؤلاء النوابغ أن سبل العيش الرغيد ليست ميسورة، فضلاً عن أن الكثرة بطبيعتها تؤدي إلى التحاسد والتباغض بين أصحاب الحرفة الواحدة، فصار الغني والجاه العريض من نصيب قوم، على حين كانت الأكثرية تشكو الفقر وضيق ذات اليد.

وتشير المصادر إلي أن "الزمخشري" دفعه طموحة إلى الاتصال برجال الدولة السلجوقية، محاولاً أن يبين لهم أنه على الرغم من علمه وفضله، لم يظفر بالمكانة اللائقة به، بينما ظفر من هم دونه بذلك ويظهر ذلك من خلال أبيات ألقاها يتباهى فيها بنفسه وبمجالسه وعلمه حينما قال:

ألم تر أني حيثما كنت كعبة ... يحفون بي كالطائفين طوائفا

فشرقيهم يهوى إلى النور قابسا ... وغربيهم يسعى إلى البحر غارقا [٥٨]

ولكن يبدو أن رجال الدولة السلجوقية أعرضوا عنه ؛ لأن الزمخشري كان معتزليا مجاهرًا باعتزاله[٥٩]، ولذلك قرر الرحيل إلى مكة المكرمة، وفي طريقه إليها مر بالعراق ومكث فيه حقبة من الزمن، سمع فيها الكثيرين من علمائها ومناظريها، حيث التقى بالشريف ابن الشجري، الذي مدحه بقصيدة طويلة، مهنئا بقدومه ومثنيا عليه، كما اجتمع في بغداد بالفقيه الحنفي "الدامغاني" والشيخ "أبي منصور الجواليقي"، ثم سافر إلى مكة [٦٠] فوجد بها الشريف السيد الفاضل الكامل "أبا الحسن علي بن عيسى بن حمزة الحسني"[٦١] الذي عرف محله وفضله فرفع من قدره، وقدمه على كثير من أقرانه، وأكثر الاستفادة منه، وأخذ عن الزمخشري، وأخذ الزمخشري عنه، وكان له دور كبير فيما ألفه من مصنفات، حتى قيل إن الزمخشري ألف تفسيره الكشاف من أجله[٦٢].

قال الشريف مادحًا الزمخشري:

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوأها دارا فداء زمخشرا

وأخبر بأن تزهى زمخشر بامرئ ... إذا عد في أسد الشرى زمخ الشرى [٦٣]

وكان الشريف عيسى بن حمزة جليل القدر من علماء مكة وشرفائها وأمرائها، وكان ذا فضل غزير وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر مجيدة، قرأ على الزمخشري بمكة حتى فاقه ونبغ عليه [٦٤] يقول عنه ياقوت [٦٥] الحموي "وصرفت أعنة طلب العلم إليه" كما كان محبًا للعلم والعلماء يقربهم إليه ويغدق عليهم، ولهذا جمعت الصداقة بينه وبين الزمخشري فأشاد بذكره في عدة أبيات.

بقي الزمخشري مجاورًا لبيت الله الحرام حتى لقب بجار الله، وعلى الرغم من حبه لمكة، وهدوء نفسه بتلك المجاورة، لم يستطع البقاء هناك طويلا ؛ لأنه اشتاق إلى موطنه وأهله، فترك مكة وسافر إلى خوارزم، ولكنه ما إن وصلها حتى حنت نفسه إلى مكة ثانية وندم على تركه إياها، وأخذ ينظم القصائد المليئة بالحنين والشوق إليها، وعندما سئل عن ذلك قال: "القلب الذي لا أجده ثم أجده هاهنا"[٦٦]، ولم يلبث أن عاد مرة ثانية إلى مكة ليستأنف سيرته الأولى وليتفرغ للعلم والتعليم [٦٧].

ويبدو أن الزمخشري كان راضيًا عن نفسه بذلك الارتحال الذي نأى به عن الضيم الذي رآه في بلاده، وعدم وضعه في المكانة اللائقة به، وعدم إصابته منزلة التدريس، أو حظوة عند الأمراء والوزراء، فتقلب في البلاد لطلب العلم والبحث اللذين لقي في سبيلهما التعب.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع ذلك لم تنقطع علاقة الزمخشري، أثناء وجوده بمكة، بعلماء المشرق ورجاله، فقد كتب إليه منتخب الملك "أبو جعفر محمد" أحد كبراء السلطان "سنجر بن ملكشاه" رسالة وقصيدة وسيرهما إليه إلى مكة عند مقامه بها، توضح مدى العلاقة بينهما. "كتابي إلى جار الله العلامة عن سلامة كمل الله أسبابها، ونعمة أوطف بالرغائب سحابها والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه محمد وآله الطاهرين [٦٨]

بعد الملتقى وشـــط المزار وتمادى لوصلك الانتظار[٦٩].

ولا نغفل أيضاً عن ذكر المراسلات الفكرية التي كانت متصلة بين الزمخشري والحافظ السلفي، مما يدل على عمق الصلات العلمية بين العلماء من أجل الحصول على المعرفة وتنمية الفكر[٧٠].

ومن العلماء الذين رحلوا إلى الحجاز، وأقاموا به ينشرون العلم، الإمام الفقيه المفتي مسند خراسان وفقيه الحرم "أبو عبد الله الفراوي" النيسابوري الشافعي المعروف بفقيه الحرم، لأنه أقام بالحرمين مدة طويلة، ينشر العلم ويسمع الحديث ويعظ الناس ويذكرهم، وكان من تلاميذ إمام الحرمين الجويني، تفقه عليه حتى صار من جملة المذكورين من أصحابه [٧١]، حتى يقال إنه قد أملى أكثر من ألف مجلس، وحكي عن بعضهم أنه قال الفراوي : "ألف راوي" [٧٢].

ولاشك أن امتزاج ثقافة هؤلاء الوافدين من بلدان المشرق الإسلامي بثقافة أدباء وعلماء مكة، كان له أثر جلي، لاسيما بعد أن عادوا إلى بلادهم، وقد نهلوا من منابع ثقافات البلاد التى طوفوا بها . ومن أمثلة هؤلاء " الزمخشري" الذى جاور بمكة سنين كثيرة، واستفاد من علم وأدب الأمير "ابن وهاس" وغيره [٧٣].

كان "ابن وهاس" يحترم الزمخشري ويجله، ويتضح ذلك من خلال أبياته التى مدحه بها عندما قال :

وكم للإمام الفرد عندى من يد وهاتيك مما قد أطاب وأكثرا

فليس ثناه بالعراق وأهله بأعرف منه بالحجاز وأشهرا

وقد مدحهم الزمخشري بنسبهم للرسول الكريم، ومساندتهم للدين الإسلامي، كما يمدحهم بالشجاعة والكرم، ويبين فيها مقدار حبه وتقديره له، كما يتضح فيها فضل هذا الأمير عليه في قوله :

بمكة آخيت الشريف وفتيـة حواليه من آل النبى غطارفا [٧٤]

وكان ابن وهاس لجنبي حارسا كما تفعل الأم الحفية لاحفا [٧٥]

وكانت الرغبة الملحة لدى كثير من علماء المسلمين في الاطلاع على شئون تلك البلدان، التي تربط بينها وشائج الدين والقربى، ودرس أحوالها عن كثب هي الحافز المهم لشد الرحال

للسفر والتجوال بين تلك البلدان المتباعدة شرقا وغربا، فمنهم من كان يرحل للعلم، والوقوف على جغرافية الممالك الإسلامية، والتعرف على أحوال إدارتها ودرجة رفاهة أهلها وخيرات بلادها، مثل الرحالة الفارسي "ناصر خسرو" الذي قام برحلة زار فيها بلاد خراسان وأرمينية والشام ومصر والحجاز، وصف فيها أحوال أهل تلك البلدان وعاداتهم وتقاليدهم، وما شهد فيها من أراض وبلاد وأمم ودول وملوك وعلماء وعادات وأخلاق [٧٦]، وكتب كتابا اسماه "سفرنامه" الذى يعد مرجعا رئيسا للتعرف على أحوال بلاد إيران في العصر السلجوقي، بما احتواه الكتاب من معلومات قيمة في التاريخ والجغرافيا وأحوال المجتمع [٧٧].

ويحدثنا "ناصر خسرو" عن زيادة أعداد الوافدين إلى مكة لأداء فريضة الحج، وزيادة الرسم أو الضريبة التى كانت السلطات الفاطمية تفرضها على الحجاج والمعتمرين القاصدين مكة[٧٨] وكان الحجاج والمعتمرين يؤدون هذا الرسم في مدينة جدة ـ وأميرها تابع لأمير مكة ـ، ويذكر لنا " ناصر خسرو " من خلال رحلته المشهورة، قصة قدومه إلى مكة، وكيف أن أمير جدة أكرم وفادته، وأعفاه من دفع المكس المفروض عليه ولم يطلبه منه شيئا، بل إنه كتب إلى أمير مكة آنذاك " تاج المعالى بن أبى الفتوح "[٧٩] (الذي هو أمير المدينة أيضا) يقول له:" هذا رجل عالم فلا يجوز أن يؤخذ شيء منه[٨٠].

وقد زار الرحالة "ناصر خسرو" مكة أربع مرات، ومكث بها مجاورا ما يقرب من عام، وصف لنا خلالها مشاهداته الكثيرة التى تعتبر من الوثائق المهمة التى تحكى لنا عن مكة في ذلك العصر، إذ يذكر لنا أنه يوجد بمكة لكل مدينة من مدن خراسان، وما وراء النهر، والعراق، منازل، ولكن أغلبها كان خرابا وقتذاك، وقد بني بها خلفاء بغداد عمارات كثيرة وأبنية جميلة، وكان بعضها وأنا هناك خرابا، والبعض الآخر اشتراه الناس (أصبح ملكا خاصا) [٨١].

ويحدثنا أيضا أن آبار مكة لم تكن صالحة للشرب لملوحة مياهها، لذلك أنشئ بها كثير من الأحواض والمصانع الكبيرة، بلغت تكاليف الواحد منها أكثر من عشرة آلاف دينار . وهى تملأ من ماء الأمطار الذي يتدفق من الأودية .

ويذكر أنه رأي بمكة "الخيار" و "الأترنج" و"الباذنجان"، وكانت كلها طازجة، وكانت الفاكهة متوفرة طوال الشتاء لم تنقطع قط [٨٢].

والواقع أن مذهب الاعتزال قد انتشر في إقليم خوارزم انتشارا كبيرا، وهو مذهب يؤمن بسلطان العقل، ولذلك نشطت عندهم الدراسات البلاغية، وهي دراسات متأثرة بالفلسفة والمنطق، حتى أصبحت لفظة الخوارزمي مرادفة للفظة المعتزلي من حيث العقيدة، يؤكد ذلك ما ذكره ياقوت الحموي، عندما سأل الأديب الشاعر القاسم بن الحسين الخوارزمي عن مذهبه، فقال: حنفي، ولكن لست خوارزميا. ينفي عن نفسه أن يكون معتزليا [٨٣].

وظهر كثير من علماء هذا الإقليم في العديد من المجالات، عرف عنهم المقدرة، والتبحر في فنون مختلفة، منهم الزمخشري المتوفى سنة(٥٣٨هـ/١١٤٣م) وشهرة الزمخشري، وخاصة في التفسير، لا تحتاج إلى إشارة، فقد شهد له معاصروه بالعلم والفضل والأدب، وأثنى عليه معظم مؤرخيه، قال عنه ياقوت الحموي[٨٤] : كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفننا في علوم شتى" وقال ابن خلكان [٨٥] : كان إمام عصره من غير مدافع، تشد إليه الرحال في فنونه، وصنف التصانيف البديعة .

أما القطفي[٨٦] فقد قال عنه: نسابة العرب، تضرب إليه أكباد الإبل، وتحط بفنائه رحال الرجال، وكان أعلم فضلاء العجم في زمانه بالعربية، وأكثرهم أنسا واطلاعا على كتبها، وبه ختم فضلاؤها".

وهذا السيوطي[٨٧] يقول فيه: كان واسع العلم كثير الفضل غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفننا في كل علم، معتزليا قويا في مذهبه .

المجاورون المتصوفون ومكانتهم العلمية في المجتمع المكي:

اتخذ التصوف أشكالا سلوكية تتلخص في الانقطاع عن ممارسة كل النشاطات الاجتماعية، والتفرغ لممارسة الشعائر الدينية وحدها، مع قهر النفس وترويضها على تحمل أشق حالات الزهد في الحياة، وحرمانها من كل مشتهيات العيش [٨٨] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد اتسعت في العصر السلجوقي موجة التصوف، لاسيما بعد أن انتشرت فلسفة الفقر بين الناس، وانكفاء العديد من رجال الدين والعلماء يحتجون على الوضع الاجتماعي، والأوضاع السائدة على المسرح السياسي، والذين راحوا يدافعون عن فلسفتهم الجديدة، معلنين تمسكهم بمبادئ الإسلام الأساسية، زاهدين في الدنيا، حتى فاضت تلك النزعة على البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

وهناك أقولا مختلفة في اشتقاق كلمة "صوفي" وهل هي من الصوف، لأن المتصوفين كانوا يلبسونه تمييزا لهم عن أهل الرّفه والتنعم، أم هي من صفاء النفس، ونقاء الروح ؟ أو هي من الصُفة نسبة إلى "اهل الصُفة" الذين كانوا ينقطعون للعبادة في مؤخرة مسجد الرسول ﷺ ؟ والذين كان الرسول الكريم يسبغ عليهم بره ورحمته، وبه اقتدى سائر القادرين من أصحابه . والواقع أن نسبة صوفي إلى أهل الصفة لا تجد قبولا عند كثير من المؤرخين والباحثين، لأنه لو كان الانتساب إلى أهل الصفة، لقيل "صُفي" بضم الصاد وتشديد الفاء بغير واو بينهما [٨٩] . والأقرب إلى الحقيقة أنها مشتقة من لبس الصوف، لأن كثيرا من الزهاد بداية من القرن الثاني الهجري (٨م) كانوا يلبسونه، ثم شاع لبسه بين المتصوفة بعد ذلك [٩٠] .

وكان لجوء المسلمين في ذلك العصر إلى علم المنطق، ثم تحوله إلى علم الكلام، رديفا طبيعيا لتلك الظواهر التي أصبحت أكثر بروزا في هذا العصر، والذي كان التصوف أحد روافده وفنونه[٩١].

والواقع أن بزوغ تلك النزعة الفلسفية، في ذلك العصر، كان انعكاسا طبيعيا فرضته معطيات فكرية واجتماعية فرضت نفسها على المجتمع الإسلامي آنذاك ،لاسيما بعد اطلاعهم على ذلك الكم الهائل من التراث العلمي والأدبي، الذي خلفته حركة الترجمة من الكتب اليونانية بجميع فروعها، من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء، وبخاصة بعد أن ترجمت الكثير من الكتب الهندية والفارسية والسريانية، ونتج عن هذا التلاقح الفكري، والمزج بين الثقافات المختلفة، أن تفتّحت آفاق جديدة للمعرفة أمام المسلمين، فتكونت نزعة زاهدة لحمتها التقوى وسداها الورع والتدين، حمل لواءها أعلام كرام عرفوا بالصلاح وحب الحق والتمسك بأهداب الدين .

وكان تنافس محبى الخير على إقامة العديد من "الربط" [٩٢]، وتخصيص مساكن مختلفة في أزقة مكة وشوارعها ، لإقامة الطلاب والعلماء الذين يرغبون في تلقي العلم من مفكري عصرهم، لاسيما ذوي الدخل المحدود[٩٣] .

ويذكر ابن الجوزي[٩٤]: أن أمير الحاج "ختلغ بن كنتكين" المتوفى سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) لبث في إمرة الحاج اثنى عشرة سنة، كان حسن السيرة، محافظا على الصلوات في جماعة، يختم القرآن كل يوم، ويختص به العلماء والقراء، وله آثار جميلة في المشاهد والمساجد والمصانع بين مكة والمدينة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هذا المنطلق فقد شخص إلى مكة عدد كبير من العلماء من أجل التزود بالعلم على أيدي مثقفي مكة، فضلا عن نشرهم العلم، وراغبين في المجاورة .

وقد ساعدهم على تلك المجاورة كثرة "الربط" التي أنشئت في مكة من ذوي اليسار، والتي أسهمت بدورها في إيجاد سكن مناسب لهؤلاء المجاورين [٩٥].

ومن هذه الربط التي كانت قائمة آنذاك في مكة "رباط السدرة" والذى يرجع بناؤه إلى مطلع القرن الخامس الهجري (١١م) ويقع بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل من باب بني شيبة، وكان من شروط واقفيه أن يكون لسكني المجاورين المنقطعين للعبادة [٩٦] .

ورباط القاضي "صدر الدين أبى بكر المراغى" ويقع بجوار باب الجنائز بمكة، وقد جاء في وصية واقفيه سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م) أن يكون لإقامة الغرباء الواصلين إلى مكة والنازلين فيها [٩٧].

كما وجدت "ربط" بمكة اشترط واقفوها أن تخصص لسكنى المتصوفين والزهاد من المجاورين، مثل رباط "أم الخليفة الناصر العباسي" وتاريخ وقفه سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م)، ورباط

الخاتون "فاطمة بنت محمد بن أنوشروان" والتي أوقفنه على الصوفية والرجال الصالحين سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) [٩٨].

ولما كانت الغاية الكبرى لمعظم هؤلاء المجاورين الانقطاع للعبادة، والاحتماء بحرم الله، وابتغاء فضله ورضوانه[٩٩] جاور عدد غير قليل من العلماء المشرقين، لاسيما المتصوفين منهم، الذين ألزموا أنفسهم الزهد في متاع الحياة الدنيا، كما ألزموا أنفسهم ضروبا من المجاهدات والرياضات التى قصد بها تصفية النفس وتقوية الروح .

ومن الملاحظ أن هناك العديد من المجاورين، سواء من العراق أو المشرق الإسلامي، قصدوا مكة من أجل حياة الزهد والورع التى كانت سائدة في ذلك العصر، واتخذوا من التصوف مسلكا لهم .

وتحدثنا المصادر التاريخية[١٠٠] أن "أبا نصر محمد بن هبة الله البندنيجي" المتوفى سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، على الرغم من كونه ضريرا، إلا أنه كان عالما مبرزا، مضي إلى مكة مجاورا بها أربعين سنة، متشاغلا بالعبادة والتدريس والفتيا، ورواية الحديث .

ويذكر أن "أبا المعالي الجويني" جاور بمكة أربع سنوات، يناظر ويفتي وينشر العلم، محاولا أن يدخل الطمأنينة إلى النفوس التي اعتراها القلق، بسبب سياسة بلبلة العقول التي اتخذها البويهيون، وقد بلغ من اجتهاده في ذلك أن حرص المسلمون على تلقبيه بإمام الحرمين تكريما له، واعترافا منهم بجهوده .

ويبدو أن إمام الحرمين قد بلغ من انغماسه في العلوم الإسلامية أنه كان يواصل ليله بنهاره في الانشغال بها، كل ما هنالك أنه كان يبقى نهاره للناس يفتيهم ويناقشهم ويهديهم إلى سواء السبيل، معتمدا في ذلك على البراهين والحجج العقلية، ويكرس ليله للتعبد والتهجد للتقرب إلى الله عز وجل، فقد ورد عنه أنه كان يقضي ليله طائفا متعبدا في الكعبة الشريفة، حتى علا قدره، وصفت نيته، فكان من الواصلين.

يقول السبكي في ذلك: "وجاور بمكة أربع سنين يدرس ويفتي ويجتهد في العبادة، ونشر العلم حتى شرف به ذلك النادي، وأشرقت تلاع ذلك الوادي، وأسبلت عليه الكعبة ستورها، وأقبلت عليه وهو يطوف بها، كلما أسود جنح الليالي بيض ديجورها، وصفت نيته مع الله، فلو كانت الصفا ذات لسان لشافهته جهارا، وشكر له المسعى بين الصفا والمروة إقبالا وإدبارا"[١٠١].

وهكذا نتبين كيف كانت فترة وجود إمام الحرمين في مكة فترة مجاهدة لنفسه، ومراجعة لها ليردها عن الدنيا وطلائها الزائف، وليخلصها من المادة وشوائبها وأدرانها، وذلك لكي تصفو نيته، فيصل إلى التحقق بالمعرفة السنية.

وقد ورد عنه أيضا أنه كان في مجالسه الصوفية، التي كان يمارس فيها رياضته الروحية، يبكى الحاضرين ببكائه، لاحتراقه في نفسه، وتحققه بما يجري من دقائق الأسرار، فكأن

الفترة التي أمضاها في مكة (بين الصفا والمروة) فترة ممارسة لأحوال الصوفية ليرتقي بنفسه بين مقاماتهم، وما يترتب عليها من أحوال .

والحقيقة أن ما ورد عن تصوف إمام الحرمين قليل، لا يعدو تلك العبارات التي ذكرها السبكي وأثبتناها في معرض حديثنا، ولم يرد عنه أنه كتب في علوم الصوفية، أو أرخ لهم على نحو ما فعل معاصروه ورفيقه أبو القاسم القشيري في رسالته، التي تعرف باسم "الرسالة القشيرية" غير أنه يكفينا أن يكون القشيري من بين مرافقيه في رحلته هذه لنرجح صدق مدلول إشارات السبكي التي تنبئ عن ممارسته لأحوال الصوفية، وليكون لدينا إثبات على أن إمام الحرمين كان من الذين خاضوا في هذه الأحوال عن علم ثابت، وطريقة قويمة في تحصيلها .

وبعد قضاء فترة الأربع السنين بمكة رجع إمام الحرمين إلى نيسابور، وذكر السبكي أنه رجع بعد انتهاء نوبة التعصب بين أهل السنة والشيعة، باعتلاء الملك "ألب أرسلان" كرسي الحكم بنيسابور، وعمله على إرجاع شيوخ الأشاعرة الذين هاجروا من قبل عن ديارهم .

ومن المجاورين المتصوفين "سعد بن على بن الحسين الزنجانى" المتوفى سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) كان إماما حافظا ورعا متعبدا متقنا، انقطع أواخر عمره بمكة، قال عنه ابن الجوزي[١٠٢]: " كان الناس يتبركون به، فإذا خرج يطوف قبلوا يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود" . ويقول أيضا : " لما عزم سعد على الإقامة بالحرم؛ عزم على نفسه نيفا وعشرين عزيمة أنه يلزمها من المجاهدات والعبادات، ومات بعد أربعين سنة، ولم يخل منها بعزيمة واحدة" [١٠٣] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما يجدر ذكره أن المجاورة، في العصر السلجوقي، لم تكن قاصرة على الرجال فقط، بل شاركت المرأة فيها مشاركة واضحة، فقد ترجمت كتب التراجم والطبقات للعديد من النساء المشتغلات بالعلوم الدينية، وفي مقدمتهن محدثة كبيرة اسمها "كريمة بنت أحمد المروزية" من أهل "مرو"، اشتهرت برواية الحديث، طافت البلاد والأقطار لسماع الحديث وروايته، وأخذ عنها الكثير من علماء عصرها [١٠٤].

كما كانت بارعة في كثير من العلوم، لاسيما الحديث والوعظ ، قرأ عليها عديد من الأئمة البارزين كالخطيب البغدادي وأبى سعد السمعاني صاحب الأنساب، وظلت تلقي العلم حتى توفيت في مكة وهى مجاورة لبيت الله الحرام سنة(٤٦٣هـ/١٠٧٠م) [١٠٥] .

كما كانت إسهامات المرأة السلجوقية عظيمة في مكة لاسيما أعمال البر والخير، كان من أبرزها ما بذلته الخاتون[١٠٦] ابنة صاحب أصفهان[١٠٧] يقول عنها "ابن جبير" وقد شاهد موكبها أثناء وجوده في مكة لأداء فريضة الحج [١٠٨] : " وهي كبيرة القدر عظيمة الشأن منافسة في أفعال البر ..." .

كما يصف لنا ابن جبير[١٠٩] جانبا من الأعمال الخيرية التى كان يقوم بها نساء سلاطين السلاجقة في مكة لاسيما في موسم الحج بقوله : " ولهؤلاء النسوة الخواتين في كل عام، إذا لم يحججن بأنفسهن، نواضح مسبلة من الحاج يرسلنها مع ثقات يسقون أبناء السبيل في المواضع المعروف فيها الماء، وفي الطريق كله، وبعرفات، وبالمسجد الحرام، في كل يوم وليلة، فلهن في ذلك أجر عظيم ... فتسمع المنادي على النواضح يرفع صوته بالماء للسبيل، فيهطع إليه المرملون من الزاد والماء بقربهم وأباريقهم فيملئونها، ويقول المنادي في إشادته بصوته : أبقي الله الملكة خاتون ابنة الملك الذي من أمره كذا، ومن شأنه كذا، ويحليه بحلاه، إعلانا باسمها وإظهارا لفعلها، واستجلابا للدعاء لها من الناس" .

التلاقح الفكري بين علماء العراق والمشرق وعلماء مكة :

لم تكن الحواجز السياسية أو الحدود الجغرافية لتقف حجر عثرة دون أماني العراقيين والمشرقيين الراغبين في المعرفة، والطامحين إلى علم غيرهم من إخوانهم المكيين، حيث لم يمنع العداء السياسي من تدفق العلماء إلى مكة يحملون معهم تراثهم العلمي . ويقينا تمتع المجاورون العراقيون والمشرقيون بكرم أهل مكة الذين أحسنوا استقبال جوار هؤلاء الغرباء، بحسن أخلاقهم ومكارمهم .

ومن الأمور التى تسترعى النظر ما ذكره "ابن بطوطة" [١١٠] من أن أهل مكة بلغ بهم الكرم وحسن الضيافة أنهم متى صنع أحدهم طعاما، أو وليمة، إلا دعا إليها أولئك المنقطعين المتعبدين، ويتوخى أن يستدعيهم برفق، وحسن خلق، ثم يطعمهم، كما كان أهل مكة يجودون بالصدقات الكثيرة على المجاورين، والمحتاجين في الليالي المباركة [١١١] .

وهكذا فتحت مكة أبوابها ، وذراعيها للعديد من العلماء والأدباء، من الذين تاقت أنفسهم إلى المجد والشهرة في هذا البلد المضياف، وفي جوار المسجد الحرام أمن هؤلاء العلماء على أنفسهم، وأحدثوا بها نهضة علمية كبيرة أثرت في مسيرة الثقافة والفكر الإسلامي.

وكان لاشتداد النزاع بين الفرق الإسلامية المختلفة، أن ساد الحياة السياسية اضطراب وتشتت ومنازعات، مما أدى إلى ضعف مركز الخلافة العباسية، في وقت دقت فيه حجافل الحروب الصليبية أبواب العالم الإسلامي[١١٢]، واستخدم العلم والفلسفة أداة للمجالات المذهبية .

ولما كانت الحياة العقلية جزءا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية، فقد كان من الطبيعي أن تتأثر بما تأثرت به الحياة العامة من ضعف وتخاذل، وينعكس ذلك على سلوك الناس، مما أدى إلى تزلزل الروح المعنوية من تردي تلك الأوضاع، ودعا العلماء والمفكرين للبحث عن واحة أمان يفرون إليها بعلمهم وفكرهم، فحطوا رحالهم في مكة المكرمة مجاورين لبيت الله الحرام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويبدو أن العلاقات السياسية الطيبة، التي جمعت بين أشراف مكة والخلفاء العباسيين، كان لها دور كبير في ارتحال هؤلاء العلماء في جو من السكينة، فيذكر ابن الجوزي[١١٣]: أن "جعفر بن يحيي التميمي" كان من ذوى الهيئات النبلاء و العلماء الأفاضل الذين يشار إليهم في عصرهم، والذي رحل في طلب العلم ولاسيما الحديث إلى كل من الشام، والعراق، وفارس، كان يترسل (رسول) عن ابن أبى هاشم أمير مكة إلى الخلفاء والأمراء، ويتولى ما يوقع له من مال وكسوة .

وكان أبو حامد الغزالي [١١٤] من الذين ارتحلوا إلى مكة، حيث قضي أخصب فترات حياته العلمية، إذ برع في المنطق والمحاورة، وعرف مناهج الفلاسفة وطرق الرد عليهم، وبدأ يكتب ويؤلف حتى قيل إن إمام الحرمين كان يغار منه، وإن حرص على ألا يبدي له شيئا من ذلك [١١٥].

وكانت شهرة الغزالى العلمية وقوته العقلية قد بلغتا مسامع الوزير "نظام الملك" [١١٦] فدعاه إلى مجلسه، وأظهر له احترامه وتقديره، وعينه أستاذا في المدرسة النظامية في بغداد[١١٧].

وفي سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) كلفه الخليفة "المستظهر بالله" [١١٨] العباسي، أن يكتب له كتابا يدحض فيه أراء الشيعة الإسماعيلية [١١٩]، فأجابه إلى سؤاله، وكتب ثلاث رسائل حمل فيها على آرائهم ومعتقداتهم حملة قاسية؛ تدل على تعمقه في دراسة مذاهبهم واستبطان خفايا عقائدهم[١٢٠] .

غير أنه بعد هذا المجد الذى أحرزه في سنى التدريس والتأليف؛ لم يلبث أن أحس بحاجة ملحة إلى العزلة، والتخلى عن جميع مظاهر الحياة المادية، فترك كرسي التدريس، كما هجر أسرته، وارتحل إلى مكة فأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى مسقط رأسه في مدينة "طوس" ثم أكب على تأليف أهم كتبه وأرقاها وهو كتاب "إحياء علوم الدين" الذى كان قد صنفه إبان رحلته [١٢١].

ويبدو أن نضوج ملكات الغزالى العلمية قد اكتملت في هذه المرحلة من مراحل حياته، حتى يقال إن تلك الرحلة كانت لها انعكاسات قوية في تصنيفه للكثير من مؤلفاته، التى امتدت إلى الفقه والفلسفة والجدل والخلاف، إلى غير ذلك .

ومن العجيب أن الإمام "أبا بكر البيهقي" المتوفى سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) الحافظ الفقيه الدين الورع واحد زمانه في الحفظ والإتقان والضبط ، كانت له رحلة إلى بلاد الحجاز سمع خلالها من مشايخ مكة وتلقي العلم على أيديهم [١٢٢] .

وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الصيدلاني يقول عنه عبد الغافر[١٢٣] :" من أولاد المياسير سمع ببغداد والحجاز، ومن المشايخ الذين سمع منهم: أحمد البيهقي، والإمامين : أبى محمد الجويني، و"أبو القاسم القشيري"، وسمع من "ابن نظيف" في مكة " .

وعبد العزيز بن محمد الحافظ، كان ثقة ورعا مجتهدا طاف البلاد وحج . سمع القاضي أبا الحسن محمد بن على بن صخر بمكة [١٢٤] .

ومحمد بن منصور السمعاني، سليل الأسرة السمعانية بمرو، كان عالما بالحديث والفقه والأدب والوعظ، وبلغ من شهرته أنه جلس للوعظ بالمدرسة النظامية ببغداد، رحل إلى مكة لتلقي الحديث على علمائها، وعقد له مجلس التدريس هناك (١٢٥).

ومن هؤلاء "محمد بن أحمد بن جعفر الحاكم العدل الشاذياخي، من وجوه العلماء النيسابورين ومن وجوه المشايخ، سمع بمكة على كبار العلماء (١٢٦).

ومحمد بن أبي سعيد بن سختويه الأسفرايني، من العلماء الكبار، حدّث بصحيح البخاري بمكة، وظل مجاورا بها إلى أن توفي (١٢٧).

ومحمد بن علي بن عمير القهندزى من أهل هراة، سمع بها، ثم رحل إلى مكة، ونيسابور، وسجستان، قال عنه ابن الجوزي (١٢٨) : "كان متقنا فهما فقيها فاضلا خيرا دينا ورعا زاهدا، حدث بالكثير".

ومن الذين كان لهم جهد تعليمي بمكة "طراد بن محمد الزينبي" نقيب العباسيين ببغداد المتوفى سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) من بيت معروف بالرئاسة، وكان يترسل من ديوان الخلافة إلى الملوك والأمراء . كان يحضر مجلسه جميع المحدثين والفقهاء، وأملى بمكة والمدينة (١٢٩).

والذي تجمع عليه المصادر التي ترجمت للزمخشري، أنه قضى الفترة التي عاشها في الحجاز يعلم الناس، فأقبلوا عليه وأحبوه وأفادوا منه فعلا اسمه، وبعد صيته، كما أجمعت على وصفه بأنه أستاذ الدنيا وفخر خوارزم ومن أكابر الأئمة ألقت إليه العلوم أطراف الأزمة، وجمع بجوار بيت الله الحرام بين الفضائل والمحاسن (١٣٠).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامـــش

(١) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الـشريف ، ص ١٥١ ، ط٢،القاهرة ١٩٣٨م .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، القـاهرة، ٢٠٠٣.

(٣) عبد العزيز بن راشد السنيدي : المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلميـة خـلال الفترة (٥٧٠ــ٦٦٠هـ/١١٧٤ــ١٢٦١م) ص ٧ "بحث مقدم إلى ندوة مكـة المكرمـة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ " .

(٤) السلاجقة : هم مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم "الغـز" ، ونظـراً لـسوء الأحوال الاقتصادية في تلك المنطقة هاجرت إلى شرق العالم الإسلامي. وقد أطلق علـى هذه القبائل اسم السلاجقة نسبة إلى زعيمهم "سلجوق بن دقاق" الـذي وحـدهم تحـت زعامته فأصبحت تعرف باسمه. واعتنقت الإسلام وفق مبادئ المذهب الـسني. وأخـذ التاريخ يذكر اسم السلاجقة بعد أن جلس أول سلاطينهم "طغرل بك" على عرش السلطنة في مدينة نيسابور سنة (٤٢٩ هـ/١٠٣٧م) .الحسيني: زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ص ٢٣ ، تحقيق د. محمد نور الدين ، دار اقرأ بيـروت ١٩٨٢م . عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ص ١٦ ــ ١٨، مكتبة النهضة المـصرية، القاهرة١٩٥٩ م.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٦ ، تحقيق شعيب الأرنـؤوط ومحمـد نعـيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، بيروت ١٩٨٤.

(٦) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : طبع دائرة المعارف العثمانيـة، ج ٩ ص ٣٥ ، ط١ حيدر أباد ١٣٥٩هـ

(٧) يذكر أن السلطان "ملكشاه" خرج للصيد ، فاصطاد هو وعسكره ألوفا من الأنعام ، بنـى من حوافرها تلك المنارة ، حتى قيل إنه كان فيها أربعة آلاف رأس . ابـن الجـوزي : المنتظم ، ج ٩ ص ٣٥ .

(٨) ابن خلدون: المقدمة ، ص ٥٤١ ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ١٩٨٠م.

(٩) ظل العباسيون يتمتعون بالسيادة والنفوذ على مكة والمدينة لا ينازعهم في ذلك منـازع حتى أقام الفاطميون خلافتهم في إفريقيا فأخذوا يتطلعون إلى بسط نفوذهم على الأراضي المقدسة في الحجاز حتى يكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامي، وقد تحقق لهم ذلك في خلافة المعز لدين الله حتى أقيمت الخطبة الفاطمية في كل من مكة والمدينـة سـنة ٣٥٨هـ، وأصبح الحجاز خاضعًا للنفوذ الفاطمي ومنذ ذلك الحين احتدم النـزاع بـين الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة على السيادة الرسـمية علـى بـلاد الحجاز، وقد تمخض هذا الصراع عن محاولات عدة من كلا الطرفين على هذه السيادة إذ أن ذلك سوف يكسبها سمعة طيبة في نظر العالم الإسلامي وينظر إليها في نظر عمـوم

المسلمين على أنها الخلافة الشرعية الواجب اتباعها. أحمد عمر الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ) ص ٢٣ . محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص٢٣، دار الفكر العربي، ط٤، القاهرة ١٩٧٣م.

(١٠) كان يحكم مكة لهذا العصر من الحسنيين أسرة الهواشم وهم ينسبون إلى محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن أبي الكرم بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان يتقلد الحكم آنذاك من الهواشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم الذي عظم ذكره بين قومه فحارب بني سليمان بمكة سنة ٤٥٤هـ للاستيلاء على الحكم وأوقع بهم الهزيمة وأخرجهم من الحجاز وقد بدأ عهده بإقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله تعبيراً عن ولائه للفاطميين في مصر. القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص١٦١، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الحديثة، ط١ القاهرة ١٩٦٣ م .

(١١) كان يحكم المدينة آنذاك الحسينيون وهم فرع من بني الحسين بن علي الذين عملوا على تأسيس دولة لهم بزعامة رجل علوي يدعى طاهر بن مسلم من أحفاد الحسين بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي حتى نجحوا في ذلك سنة ٣٦٠هـ، والذي أعلن ولاءه للخلافة الفاطمية في مصر. القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٦٣، محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين ، ص٢٢.

(١٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج٥، ص١٢. دار المعارف ، ط٣ القاهرة ١٩٧٣ م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٣) حدث رد فعل قوي في مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وبدأ المذهب السني يسود من جديد ، بعد أن ضعفت الدولتان "الفاطمية" و "البويهية" (الشيعيتان) بظهور دولة سنية كبيرة في المشرق الإسلامي ، كان هدفها القضاء على الدول والمذاهب الشيعية في كل مكان، بل وكان سلاطينها مهتمين بالمحافظة على المذهب السني وذيوعه، ويرون ضرورة التخلص من كل الحركات الهدامة في العالم الإسلامي ، وإعادة الوحدة الإسلامية من جديد على أساس متين.فوقية حسين محمود : الجويني إمام الحرمين ، ص ٣٢ . سلسلة أعلام العرب ، العدد (٤٠) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٤ م .

(١٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٢٠٨، راجعه وصححه: د / محمد يوسف الدقاق دار الكتب العلمية ط ٣ بيروت ١٩٨٨م.

(١٥) ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ، ج١٢، ص٣٩ ، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة ، ١٩٣٢م..

(١٦) لعبت الخلافات المذهبية دورا كبيرا في احتقان الوضع السياسي في العراق ، فقد حدث في بغداد سنة (٤٤٣هـ) أن كتب أهل الكرخ (محلة الشيعة ومكان تجمعهم) بأحرف من ذهب على أبراج باب السماكين "محمد وعلي خير البشر": " وهنا قامت الفتنة ، وتشابك الفريقان. وحدث أن قتل هاشمي وحمله أهله وطافوا بنعشه في المدينة، وأثار هذا

الحادث نفوس أهل السنة فتوجهوا إلى قبور الملوك والوزراء من بني بويه ونهبوها وسلبوها، فازداد بذلك الاضطراب والفوضى. وهذه حادثة أخرى تنم عن مدى تأزم الأمور بين الفريقين لتتابع حوادث التصادم: حدث سنة (٤٤٤ هـ) أن اختطفت جماعة القواد الأتراك السنيين رجلا شيعيا من أهل الكرخ وذبحوه على مرأى من نسائه، فصرخن ونثرن شعورهن. فأثار ذلك شعور العامة من أهل الكرخ وتشابكوا بعنف مع أهل السنة فما كان من القواد الأتراك إلا أن أحرقوا أسواق الكرخ وتكبد كلا الفريقين خسائر فادحة، ولم يتوقف القتال إلا بعد أن انسحب القواد الأتراك، وتأسفوا على ما بدر منهم. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل قامت فتن سنة (٤٤٧هـ) بين فقهاء الشافعية والحنابلة عندما قال الأخيرون بمنع الجهر بسم الله الرحمن الرحيم ، والترجيع في الآذان والقنوت، إذ غضب فقهاء الشافعية لذلك، وقبل أن يتطور الأمر إلى أكثر من ذلك رجع الحنابلة عما قالوا . ولم تكن بغداد وحدها مرتعا للحوادث العنيفة، بل امتدت نيران الفتنة إلى غيرها من البلدان، وكانت نيسابور مسرحا لفتن كثيرة . لمزيد من التفاصيل حول الصراعات الدامية بين السنة والشيعة أنظر : ابن الجوزي : المنتظم في أكثر من جزء .

(١٧) عميد الملك الكندري : محمد بن منصور الكندري ، ولد سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) في "كندر" إحدى قرى نيسابور ، بدأ حياته العلمية بدراسة الفقه ، حتى وصل فيه إلى درجة عالية من الاتقان والشهرة ، " فلفت نظر السلطان"طغرل بك" ، فقربه وجعله مشيره ، ثم أعطاه حكومة " خوارزم" إلا أن عميد الملك حاول التمرد على السلطان في خوارزم ، فما كان من السلطان إلا أن تحرك ضده وتحرك بجيشه ، ثم قبض عليه وأمر بخصيه . ويقال إن سبب هذه العقوبة البدنية أن "طغرل بك" أرسله ليخطب له امرأة ، فزوجها لنفسه وعصاه ، فلما ظفر به أقره على خدمته بعد أن خصاه . الباخرزي: دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج ١ ص١٢٠ ، تحقيق ودراسة د/ محمد التونجي ، دمشق ١٩٧٢ م.

(١٨) ابن الجوزي: المنتظم ج٨، ص١٥٧، السبكي: طبقات الشافعية ج٣، ص٢٥٥.

(١٩) الأشاعرة : هم أصحاب "أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري" المتوفى سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) وهو من جملة العلماء الذين يثبتون الصفات لله تعالى ، وأيد عقائد السلف بحجج كلامية متخذا من سلطان العقل وسيلة للإقناع ، ولكنه اتخذ مذهبا وسطا بين المعتزلة والسلف الصالح وهو الذى حارب المعتزلة بسلاحهم من منطق وفلسفة ، وأصبح من مؤسسي نزعة علم الكلام في الإسلام ، وهي النزعة التي تحاول التقريب بين تعاليم الدين وبين مبادئ الفكر اليوناني . والمعتزلة من أهم الفرق الدينية التي ظهرت في العالم الإسلامي ، ولاسيما في عصر الخليفة المأمون العباسي الذى وافق المعتزلة على القول بخلق القرآن ، واستخدم نفوذه في إقرار هذه الفلسفة في أذهان الناس . الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ٧٣ مؤسسة ناصر للثقافة. ط١. بيروت. ١٩٨١م. . عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران ، ص ١٧٤ ـ١٧٧.

(٢٠) عبد المجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد . ص١٠٩. دار الوفاء للطباعة والنشر. ط٢ المنصورة ١٩٨٨م .

(٢١) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٧١.

(٢٢) طبقات الشافعية: ج٢، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٢٣) عملت التغيرات السياسية التى مرت بها بلاد الحجاز آنذاك على تشجيع مجموعة من العلماء وطلاب العلم للقدوم إلى مكة والمجاورة فيها . والمتمثلة في الصراع بين العباسيين والفاطميين على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة . ولما بسط العباسيون سيطرتهم الكاملة على مكة ، وأصبحت الطرق آمنة ، كان ذلك حافزا مغريا لمجموعة كبيرة للمجاورة لاسيما بعد تهيأت لهم الأجواء العلمية المناسبة . عبد العزيز بن راشد : المجاورون في مكة ، ص ٤٤ .

(٢٤) الإمام البيهقي: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور واحد زمانه، وفرد أقرانه في الفنون رحل كثيراً وحصل علما واسعا بالحديث وطلب إلى نيسابور لتدريس فقه الشافعي. ابن خلكان: وفيات الأعيان وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، ج١ ص٧٥، ٧٦ ، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م. ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ص ٢٦٥ ، مطبعة التوفيق ،دمشق ١٣٤٧هـ.

(٢٥) أبو القاسم القشيري: هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري النيسابوري الفقيه الشافعي ، شيخ خراسان في عصره ، علامة الفقه والحديث والتفسير والأصول والأدب وعلم التصوف . وكان ثقة حسن الوعظ وله تصانيف مشهورة منها "الرسالة القشيرية" و"التيسير في علم التفسير" وتوفي سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م).ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص٢٧٤. ابن الجوزي: المنتظم، ج٨ ص٢٨٠

(٢٦) أبو المعالي الجويني: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي الملقب بإمام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، المجمع على إمامته المتفق على غزارة علمه وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب وهو من أهل نيسابور رحل إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء وذهب إلى الحجاز وجاور بمكة أربع سنين ولذا قيل له "إمام الحرمين" ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية التي درس فيها، وحضر دروسه الأكابر والأئمة وله مصنفات كثيرة منها "العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية" و"الإرشاد" و"الورقات" وغير ذلك وتوفي الجويني سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م). ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص ٢٧٨، السبكي: طبقات الشافعي ج٣، ص ٢٤٩، ٢٩١.

(٢٧) ابن عساكر: كذب المفتري، ص١٠٩، السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٧٢.

(٢٨) ترجم عبد الغافر الفارسي لشيخه أمام الحرمين في طبقات الشافعية الكبرى ج٣ ص٣٥٨.
(٢٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص٣٦١ .
(٣٠) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ٨ ص١٨.
(٣١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥ ص١٢١، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٣٥م .
(٣٢) ابن هداية: طبقات الشافعية، ص ١٧٤، ١٧٥ تحقيق. د.عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة ط٣ ، بيروت، ١٩٨٢م.
(٣٣) طبقات الشافعية: ج٣، ص٢٥٢.
(٣٤) ابن عساكر: كذب المفتري، ص١٠٨.
(٣٥) أبو طاهر السلفي: معجم السفر ، ص ٢٧١ . تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٣ م ابن الجوزي: المنتظم ج٩، ص١٠٦.
(٣٦) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٢، ص١٥٥، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٢٨. دار الكتب العلمية بيروت ١٣٧٤هـ .
(٣٧) سير أعلام النبلاء: ج١٩، ص٣٩ .
(٣٨) عبد الغافر الفارسي : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، ص ٩٩ . دار الكتب العلمية بيروت ١٣٧٤هـ .
(٣٩) المنتخب من السياق : ص ٩٧ .
(٤٠) المنتخب من السياق : ص٤٢٢.
(٤١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ١٠٥.
(٤٢) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٤٦٩،
(٤٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص١٠٦.
(٤٤) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٥٤.
(٤٥) جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية ص١٢٦.
(٤٦) ابن قاضي شبهة: طبقات الشافعية ج١ ص٢٧٢. تحقيق د/ عبد العليم خان، عالم الكتب ط١ بيروت ١٩٨٧م.
(٤٧) ابن الأثير: اللباب، ج١، ص١٤٧، دار صادر بيروت، ١٩٨٠م.
(٤٨) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ، ج١ ص ٢٦٣، ٢٦٤.
(٤٩) السكبي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٥٢.
(٥٠) عبد العزيز بن راشد : المجاورون في مكة ، ص ٤٥ .
(٥١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ج٣، ص١١٢١، السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٤٢٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٥١.
(٥٢) عبد الغافر الفارسي : المنتخب من السياق ، ص ٣٨٤ .
(٥٣) السابق : ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص٤٨٩، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ١٩٩١م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٦٨.
(٥٥) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ج٤، ص١١٥. تحقيق د. مفيد محمد متمية، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٨٣.

(٥٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص٤٩٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٦٩.
(٥٧) إنباه الرواة: ج٣، ص٢٦٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ط١ القاهرة ١٩٨٦م .
(٥٨) هند حسين طه: الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ الفتح العربي ٩٣هـ، حتى سقوط الدولة الخوارزمية ٦٢٨هـ، ص٢٢٠، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٦م.
(٥٩) تأثر المعتزلة تأثرا شديدا بالفلسفة الإغريقية ، فاقتبسوا منها ، وأجهدوا أنفسهم في أن يضيفوا إلى المعاني الإسلامية التي جاء بها القرآن ، جميع ما احتوته الثقافة اليونانية من أفكار علمية وفلسفية وأن يلائموا بينها ، ويخرجوا منها مزيجا جديدا يتفق وتعاليم الإسلام وأصوله ، وظل المعتزلة أقوياء ، لا ينازعهم منازع حتى تصدى لهم "أبو الحسن الأشعري" الذي حمل عليهم وحاربهم حربا شعواء ، ووافق أهل السنة في كثير مما ذهبوا إليه . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٦٨.عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران ، ص١٧٥، ١٧٦.
ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com
(٦٠) القفطي: إنباة الرواة، ج٣، ص٢٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١٩.
(٦١) علي بن عيسى الحسني: علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس، ويعرف بابن وهاس من ولد سليمان بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان شريفا جليلا من أهل مكة وشرفائها وأمرائها وكان ذا فضل غزير وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر مجيدة قرأ على الزمخشري بمكة وتوفي في سنة نيف وخمسين وخمسمائة. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص١٩٧، ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢٩٠. الأدباء تحقيق د/ إبراهيم السامرائي مكتبة المنار ط١ الأردن ١٩٨٥ م .
(٦٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص١٩٧، القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٦٨.
(٦٣) القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٦٨.
(٦٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص١٩٧.
(٦٥) معجم الأدباء: ج٤، ص١٩٧.
(٦٦) القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٦٦، هند حسين طه: الأدب العربي في إقليم خوارزم، ص٢٢٨.
(٦٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٦٩.
(٦٨) القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٧١.

(٦٩) القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٧١.
(٧٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٥، ص١٧٠.
(٧١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١٩، ص٦١٥، ابن عساكر: كذب المفتري، ص٣٢٢.
(٧٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٦١٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١١.
(٧٣) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ص .
(٧٤) غطارفا : جمع غطريف ، وهو السيد الشريف .
(٧٥) الحفية : كناية عن المبالغة في الكرم .
(٧٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج٤، ص٥٨٣.
(٧٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص١٢٢، ١٢٣.
(٧٨) ابن جبير : رحلة ابن جبير المسماه (تذكرة بالأخبار من اتفاقات الأسفار) ص ١٢٨ ، بيروت ١٩٨١ م
(٧٩) تاج المعالى بن أبى الفتوح : هو أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني العلوي أمير مكة تولي إمارة مكة سنة (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) واستمر في حكمها حتى سنة (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٢١.
(٨٠) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ١٣٧ . ترجمة : د/ يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.
(٨١) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ١٤٠ .
(٨٢) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ١٤١ .
(٨٣) معجم الأدباء :ج ٥ ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ . القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٢٠. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.
(٨٤) معجم الأدباء : ج ٥ ص ٤٨٩ .
(٨٥) وفيات الأعيان : ج ٥ ص ١٦٨ .
(٨٦) إنباه الرواة : ج ٣ ص ٢٦٥ .
(٨٧) بغية الوعاة : ج ٢ ص ٢٧٩ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت ، ١٩٦٤م.
(٨٨) كان في صدر الإسلام الإقبال على الدين والزهد في الدنيا غالبا على المسلمين ، ولم يكونوا في حاجة إلى وصف يمتازون به عن غيرهم ، وإنما كان يشار إليهم بمسلم ومؤمن ، ثم تطور الاسم إلى زاهد وعابد ، ومن رحم تلك النزعة نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، واتخذوا ذلك طريقة تميزوا بها ، وكان ذلك ردة فعل لما زاد إقبال الناس على الدنيا ، وجنوحهم إلى مخالطة المتاع الدنيوي . مريزن سعيد مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ص ١٤٤ . مكتبة الطالب الجامعي ، مكة الكرمة ، ط١ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٨٩) آمنة محمد نصير : أبو الفرج ابن الجوزي (٥١٠هـ/٥٩٧م) وآراؤه الكلامية والأخلاقية ، ص ١٩٦ . دار الشروق ، ط ١ ، القاهرة ١٩٨٧ م .

(٩٠) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) ص ١٠٦.

(٩١) عبد المنعم حمادة : من رواد الفلسفة الإسلامية ، ص ١٢٨ . مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ القاهرة ١٩٧٣ .

(٩٢) الربط : والرباط والمرابطة هي ملازمة العدو ، وربما سميت الخيل نفسها رباطا ، مصداقا لقوله تعالى في سورة الأنفال : "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" والرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب . وفي هذا العصر أصبحت الكلمة تطلق على الأماكن التي يرتادها المتصوفون والزهاد للعبادة والانقطاع إلى الله ، ومجاهدة النفس ، كما أصبحت تلك الربط تؤدي خدما اجتماعية ودينية وثقافية في الوعظ والإقراء والتحديث ، ومنح الإجازات العلمية ، وتصنيف الكتب . ابن منظور : لسان العرب ، ج٤ ص ٤١ . مريزن سعيد مريزن : الحياة العلمية ، ص ٢٣٩ .

(٩٣) عبد العزيز بن راشد : المجاورون ، ص ٤٦ .

(٩٤) المنتظم : ج ٩ ص ٣١ .،

(٩٥) حسين سيد عبد الله مراد :المجاورون المصريون ، ص ١٢١ .

(٩٦) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ص ٣٣٠ . ١٢١ . حسين سيد عبد الله مراد :مرجع سابق ص ١٢٢ .

(٩٧) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ص ٦٧ . حسين سيد عبد الله مراد :مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

(٩٨) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ ص١١٩ .

(٩٩) حسين سيد عبد الله مراد : المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين (٥٦٧ـ٦٤٨هـ/ ١١٧١ـ١٢٥٠م) ص ١٠٨ ، المجلة التاريخية المصرية ، تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد (٣٨) ١٩٩٥م .

(١٠٠) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ص١٣٣ .

(١٠١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٣ ص٣٥٢ .

(١٠٢) المنتظم : ج ٨ ص ٣٢٠ .

(١٠٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ص ٣٢٠ .

(١٠٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٢٧٠.

(١٠٥) السابق : ج ٨ ص ٢٧٠ .

(١٠٦) الخاتون : معناها السيدة الجليلة القدر في اللغة التركية ، وهو ما يليق بهذا اللفظ الملوكي من نساء الملوك والأمراء في العصر السلجوقي . ابن جبير : الرحلة ، ص١٤٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٠٧) لم يذكر لنا ابن جبير اسم الخاتون المشار إليها في رحلته ، ولكنه قال ابنة الدقوس ، ولعله يذكر السلطان خوارزمشاه . الرحلة ص ١٤٤ .

(١٠٨) ابن جبير : الرحلة ص ١٤٥ .

(١٠٩) الرحلة ص ١٤٧ .

(١١٠) رحلة ابن بطوطة المسماه (تحفة النظار في غرائب الأمصار) ص ١٦٨ ، شرحه وكتب هوامشه : طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٧م.

(١١١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٩ .

(١١٢)الحروب الصليبية : هي الحروب التي جرت وقائعها في الشرق العربي الإسلامي خلال الفترة من (٤٨٩- ٦٩٢ هـ/ ١٠٩٥ - ١٢٩١م) بين المسلمين وبين جيوش الغزو الأوربي ، التي جاءت على شكل حملات متعددة بقيادة بعض ملوك أوربا الغربية وبعض أمرائها الإقطاعيين ، مستغلين حالة التمزق السياسي المخيم على الشرق الإسلامي حتى نجح الصليبيون في زرع إمارتهم وممتلكتهم ومحو الإمارات العربية والإسلامية الصغيرة في بلاد الشام واحدة تلو الأخرى . ولم يمض قليل من الوقت حتى نجحت الحملة الصليبية الأولى في تأسيس إمارات أربع: ثلاث منها في الشام وواحدة في شمال غرب الجزيرة. ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ٢٩١، ترجمة د/ السيد الباز العريني، دار الثقافة ط ١، بيروت ١٩٦٧م. قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية ص ١٤ سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٠ م.

(١١٣) المنتظم : ج ٩ ص ٦٤.

(١١٤)الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الملقب بحجة الإسلام ، الفقيه الشافعي لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ، كان صديقا للوزير نظام الملك وهو الذي فوض إليه التدريس في نظامية بغداد ، وله التصانيف الكثيرة ولد سنة (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) وتوفي سنة (٥٠٥هـ / ١١١١ م) . السبكي : طبقات الشافعية ج٤ ص ١٠١ــ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص ٢١٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ج٩.

(١١٥)ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص ٢١٦ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩.

(١١٦) الوزير نظام الملك الطوسي : هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ولد بقرية من نواحي طوس سنة (٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) عمل في بداية حياته في دواوين الدولة الغزنوية بخراسان فلما أفل نجمهم وسقطت دولتهم على أيدي السلاجقة ، انتقل إلى خدمتهم ، ثم ما لبث أن اتخذه"ألب أرسلان" وزيرا له ، ولما قتل ألب أرسلان عام (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) اتخذه "ملكشاه بن ألب أرسلان" وزيرا له . قتل على يد اتباع "الحسن الصباح سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م).ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٦٤. الحسيني: الزبدة، ص١٤٠-١٤٥. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٦١. السبكي: طبقات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشافعية الكبرى، ج٣، ص١٣٥. خواندمير: دستور الوزراء. ص٢٤٥. ترجمة : د/ حربي أمين سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٠ م .

(١١٧)ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص ٢١٦ .

(١١٨)الخليفة المستظهر بالله : هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله ، تولي الخلافة بعد وفاة أبيه المقتدي بأمر الله ، وكان عمره ستة عشر سنة . وكان كريم الأخلاق لين الجانب سخي النفس ، متصفا بالعدل والإحسان ، وكان حسن الخط جيد التوقعات لا يقاربه فيها أحد ، يدل علي فضل غزير وعلم واسع .ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص ٨١ ، ٨٢ ــ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٧٦ ــ ٤٨٠ .

(١١٩) الفرقة الإسماعيلية : هم الفرقة التي أدعت أن الإمام : جعفر الصادق قد نص علي إمامة ابنه إسماعيل ، وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الخامس الهجري ، وهي مزيج من فرق غالية معظمها من الشيعة . البغدادي: الفرق بين الفرق ص٦٢.

(١٢٠)الشهرستاني : الملل والنحل ص ٨٢ ، ٨٣ .

(١٢١) السبكي : طبقات الشافعية ،ج٤ ص ١٠١.

(١٢٢)عبد الغافر الفارسي : المنتخب من السياق ، ص ١٠٣ .

(١٢٣) المنتخب من السياق ، ص ٣١٥ .

(١٢٤)عبد الغافر الفارسي : المنتخب من السياق ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(١٢٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ص ١٨٨ .

(١٢٦) عبد الغافر الفارسي : المنتخب من السياق ، ص ٣٩ .

(١٢٧) السابق : ص ٤٦ .

(١٢٨) المنتظم : ج ٩ ص ١٠١ .

(١٢٩) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٩ ص ١٠٦ .

(١٣٠) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٥ ص ٤٨٩-٤٩٠.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً ـ المصـــادر:

=ابن الأثير: علي بن أبي الكرم (٦٣٠هـ) .

١- الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية ط٣، بيروت، ١٩٨٨م.

٢- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر بيروت، ١٩٨٠م.

=ابن الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (٥٧٦هـ) .

٣ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق د/ إبراهيم السامرائي مكتبة المنار ط١، الأردن ١٩٨٥ م .

=الباخرزي:علي بن الحسن بن أبي الطيب (٤٦٧هـ) .

٤ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق ودراسة د/ محمد التونجي، دمشق ١٩٧٢م.

=ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي (٧٩٧هـ).

٥ـ رحلة ابن بطوطة المسماه (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، شرحه وكتب هوامشه:

طلال حرب، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت ١٩٨٧م.

=البغدادي: عبد القاهرة بن طاهر بن محمد البغدادي (٤٢٩هـ).

٦ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق: محمد عثمان الخشب. مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨م.

=الثعالبي: أبو منصور بن عبد الملك بن محمد النيسابوري (٤٢٩هـ).

٧ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر تحقيق د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٨٣.

=ابن جبير:محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ).

٨ـ الرحلة (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) بيروت ١٩٨١ م .

=ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي (٥٩٧هـ).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، ط١ حيدر أباد ١٣٥٩هـ.
=الحسيني: صدر الدين علي بن ناصر (٦٢٢هـ) .
١٠ـ زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ،تحقيق: د/ محمد نور الدين،
دار اقرأ، بيروت. ١٩٨٢م.
=ابن خاوند شاه: محمد بن خاوند شاه بن محمود(٩٠٣هـ).
١١ـ روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة د. أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب ط١ القاهرة، ١٩٨٨م.
=ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ).
١٢ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.
=ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١هـ).
١٣ـ وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت،
١٩٦٨م.
=خواندمير: غياث الدين خواندمير (٩٤٢هـ) .
١٤ـ دستور الوزراء، ترجمة : د/ حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة ١٩٨٠م
=الذهبي: أبو عبدالله شمس الدين بن محمد الذهبي (٧٤٨هـ) .
١٥ـ تذكرة الحفاظ . دار الكتب العلمية بيروت ١٣٧٤هـ .
١٦ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنـؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة
الرسالة، ط١، بيروت ١٩٨٤.
=السبكي: تاج الدين بن تقي الدين السبكي (٧٧١هـ).
١٧- طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة، ط٢ بيروت (د.ت).
=السمعاني: أبو سعد بن محمد بن منصور (٥٦٢هـ).
١٨ ـ الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١ بيروت
١٩٩٨.
١٩ ـ التحبير في المعجم الكبير، تحقيق : منيرة ناجي سالم، بغداد ١٩٧٥ م.
=السيوطي:جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة
المصرية، بيروت، ١٩٦٤م.
٢١- طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية ط١، بيروت، ١٩٨٣م.
=الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (٥٤٨هـ).
٢٢ ـ الملل والنحل، مؤسسة ناصر للثقافة. ط١. بيروت. ١٩٨١م.
=أبو طاهر السلفي:أحمد بن محمد السلفي (٥٧٦هـ) .
٢٣ـ معجم السفر، تحقيق : عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م .
=عبد الغافر الفارسي: إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني (٦٢٢هـ).
٢٤ـ المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب
العلمية، بيروت ط١ ١٩٨٩م .
=ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسين (٥٧١هـ) .
٢٥ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، مطبعة التوفيق، دمشق ١٣٤٧هـ.
=الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد (٨٣٢هـ) .
٢٦ ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، مكة المكرمة ١٩٥٦ م.
٢٧ـ العقد الثمين بأخبار البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة ١٩٦٧ م .
=ابن قاضى شهبة: أبو بكر أحمد بن محمد (٨٥١هـ).
٢٨ ـ طبقات الشافعية تحقيق د/ عبد العليم خان، عالم الكتب ط١ بيروت ١٩٨٧م.
=القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (٦٨١هـ).
٢٩ـ آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.
=القفطي: جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف (٦٤٦هـ) .
٣٠ـ إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربى،
ط١ القاهرة ١٩٨٦م .
=القلقشندى: أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١ هـ) .
٣١ - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، ط١ القاهرة ١٩٦٣ م .
=ابن كثير: عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ).
٣٢ـ البداية والنهاية في التاريخ، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٣٢م.
=أبو المحاسن: جمال الدين بن تغرى بردي الأتابكي (٨٧٤هـ).
٣٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٣٥م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

=ابن منظور: محمد بن مكرم المصري (٧١١هـ) .
٣٤ـ لسان العرب، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٦ م.
=ناصر خسرو: ناصر خسرو علوي (٤٨١هـ) .
٣٥ـ سفرنامه:، ترجمة : د/ يحيي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.
=ابن هداية: أبو بكر بن هداية الله الحسيني (١٠١٤هـ).
٣٦ـ طبقات الشافعية. تحقيق: د/ عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة ط٣، بيروت، ١٩٨٢م.
=ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (٦٢٦هـ).
٣٧ـ معجم الأدباء أو "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ١٩٩١م.

ثانياً ـ المراجـــع :

=آمنة محمد نصير (دكتور)
١ـ أبو الفرج ابن الجوزي (٥١٠هـ/٥٩٧م) وآراؤه الكلامية والأخلاقية، دار الشروق،
ط ١، القاهرة ١٩٨٧ م .
=حسن إبراهيم حسن (دكتور)
٢ ـ تاريخ الإسلام السياسي، دار الجيل، ط ٨ بيروت ١٩٩٦م.

=ستيفن رنسيمان
٣ـ تاريخ الحروب الصليبية ترجمة د/ السيد الباز العريني دار الثقافة، ط ١ ١٩٦٧م .
=شوقي ضيف (دكتور)
٤ـ تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، دار المعارف ط٣، القاهرة، ١٩٧٣م.
٥ـ تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) دار المعارف، ط٣ القاهرة ١٩٨٣م .
=عبد المجيد أبو الفتوح بدوي(دكتور)
٦ـ التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، دار الوفاء للطباعة والنشر،ط٢، المنصورة ١٩٨٨م.
=عبد المنعم حمادة (دكتور)
٧ـ من رواد الفلسفة الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١ القاهرة ١٩٧٣ .
=عبد النعيم حسنين(دكتور)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ــ سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩ م .
=فوقية حسين محمود (دكتور)
٩ــ الجويني إمام الحرمين، سلسلة أعلام العرب، العدد (٤٠) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٤ م .
=قاسم عبده قاسم (دكتور)
١٠ــ ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون
والآداب، الكويت ١٩٩٠ م .
=مريزن سعيد مريزن عسيري (دكتور)
١١ــ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١ ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧ م .
=هند حسين طه(دكتور)
١٢ــ الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ الفتح العربي ٩٣هـ، حتى سقوط الدولة الخوارزمية ٦٢٨هـ، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٦م.

ثالثا ـ الدوريـــات:

=حسين سيد عبد الله مراد (دكتور)
١- المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين(٥٦٧ــ٦٤٨هـ/١١٧١ــ١٢٥٠م) المجلة التاريخية المصرية، تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد
(٣٨) ١٩٩٥م .
=عبد العزيز بن راشد السنيدي (دكتور)
٢- المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة (٥٧٠ــ٦٦٠هـ/ ١١٧٤ــ١٢٦١م) بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com